ـ والتملك المعرفي ⟵ يؤدي إلى امتلاك جمالي(*).

غير أن حرية الناقد تصبح مقيَّدةً عندما يحدِّد منطلقاته المنهجية، وهي منطلقات تمكننا من معرفة بعض عناصر رؤيته للعالم. وبالنسبة للمنهج الاجتماعي الذي أخذ به الناقد تبدو الأطروحة الأولى غير مقبولة، لأن التملك المعرفي شرط أساسي في الفكر الماركسي لكل صياغة متناسقة(**). أما الأطروحة الثانية فهي مناسبةٌ تماماً لهذا التصور المنهجي. وهكذا نقف أولاً على خرق لضوابط المنهج كما نقف ثانياً على تناقض غير مبرَّرٍ من طرف الناقد أو من طرف النسق العام لتفكيره النقدي(143).

أحكام، وضوابط مُرتجلة:

● يقارن الناقد بين زمن السرد، وزمن الواقع، ويجعل الأول نتيجة للزمن الثاني. فما دام الزمن الواقعي يمشي بصورة خطية فكذلك الزمن في رواية «صيادون في شارع ضيق» لجبرا إبراهيم جبرا يأخذ مجراه الخطي (ص: 28).

إن آرتجال التحليل هنا لا يمكن أن يخفى حتى على القارىء العادي للنقد الروائي. فالمعروف أن زمن السرد لا يتبع، في جميع الأحوال، شكلاً خطياً على غرار الزمن الواقعي، وأن الروائي له الحرية في اختيار التركيب الزمني الذي يلائم رُؤيته الفنية، وهو لا يلتفت أبداً إلى سيرورة الزمن الواقعي. هذا بغض النظر عن أن الزمن الواقعي لا يمكن نقله كما هو إلى الرواية، لأنّ الواقع يَحْدُثُ فيه ـ ضمن لحظة زمنية واحدة ـ عدد من الوقائع، بينما يتعذر في الكتابة الروائية تحقيق الشيء نفسه، فحتى الكاتب المخلص لخطية الزمن الواقعي لا يستطيع أن يحكي كل الأشياء التي تحدث في لحظة واحدة، دفعةً واحدة. ويمكننا أن نعزو هذه الأحكام الفنية المرتجلة إلى غلبة النظرة الإنعكاسية التي رأينا أن الناقد ظل أسيراً لها خلال مجموع التحليل، غير أنها آتخذت صورة آلية بالمعنى الحرفي، كما تُعزى أيضاً إلى ضعف معرفة الناقد بتقنيات الزمن الروائي.

إن عدم ضبط ميكانزمات السرد القصصي، وهو ما يرتبط كثيراً بنظرية الكتابة الروائية،

(*) نلاحظ هنا أنه لا يبدو أن بين الامتلاك، والتملك ـ في استخدام الناقد للكلمتين ـ أي فرق أساسي.

(**) ان مفهوم الرؤية إلى العالم عند غولدمان يلقي الضوء على هذا الجانب، فوجوده شرط لوجود كل صياغة مفهومية أو فلسفية أو ابداعية.

(143) هناك تناقضات أخرى لا نريد أن نستعرضها جميعاً حتى لا تطول الدراسة بدون تقدم في البحث نحو عناصر جديدة. منها: القول بأن جميع الشخصيات في الرواية تعبر عن رأي وثقافة المؤلف، وهو ما يناقض مفهوم الرؤية الذي يُؤخذ عادة من نتيجة تحليل الصراع الإديولوجي والثقافي في الرواية. أنظر الرواية والواقع، ص: 35.